الباب الأول

أخبار القرون الأولى

عصر ماقبل آدم عليه السلام

﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾

آية ٩٩ سورة طه

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

أخبار القرون الأولى

عصر ماقبل آدم عليه السلام

* **كان الله ولم يكن قبله شى**
* **قل هو الله أحد .**
* **الله خالق كل شى .**
* **الله الخالق يستوى على العرش .**

من الأسئلة التى يطرحها الإنسان ، أى إنسان ، على نفسه ، وعجز العلمانيون من كتاب التاريخ فى الإجابة عليها : من أنا ؟ إلى من أنتسب ؟ من الذى خلقنى ؟ ومن الذى خلق هذا الكون من حولى ؟ ولماذا خلقنى وهذا الكون ؟ وهل هنالك مخلوقات أخرى خلقها الخالق غير مرئية لنا ، وما هى العلاقة بين الخالق والمخلوق ؟ وما هى السنن التى تضبط حقيقة العلاقة بينى وبين الخالق العظيم ؟ وبينى وبين هذا الكون الذى أعيش فيه ؟ وبينى وبين القوى التى أراها ؟ وهل هنالك سنن تضبط حركة الكون وحركة الإنسان ؟

ومن الأسئلة : لماذا هذا الصراع الذى يدور على سطح الأرض ؟ لماذا المظالم التى يتعرض لها الإنسان من أخيه الإنسان ؟ وهل خلق الله القوى ليستبد بالضعيف ؟ ومن الأسئلة : لماذا الموت ؟ وهل بعد الموت من حياة ؟ وأين ؟ وهل من حساب ؟ وما هو مصير الخيرين وما هو مصير الأشرار ؟

وقد أجاب على بعض هذه الأسئلة أساتذة التاريخ القديم من المستشرقين ومن سار على نهجهم ، وزعموا أن الإنسان من سلالة القردة . وقد خُلق بدون خالق ؟ وأنه لا غاية

له سوى غاية الحيوان : أن يتزوج ويتناسل ويأكل ويستمتع بالحياة ثم يموت وبعد ذلك الفناء .... وزعموا أيضا أن الكون وُجد مصادفة ، هكذا عَبْر عصور حجرية وعصور مناقبل التاريخ !

إجابات قد جانبها الصواب ، تعتمد على الحدس والتخمين والاستنتاج وكلها لا تزيد الإنسان إلا حيرة وضلالة وارتباكا .

لماذا هذه الإجابات الخاطئة الضالة ؟ لأن الأساتذة العلمانيين قد أعرضوا عن الهدى الربانى ، عن القرآن الكريم ، عن سنة النبى محمد ﷺ وأعملوا عقولهم فى الغيبيات ، فجاءت إجاباتهم خبط عشواء لا أثر فيها للحق (١) .

ومن هنا وجب علينا أن نبين الحق ، ونعطى الإجابات الصحيحة على الأسئلة المطروحة وغيرها اعتمادا على القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ والمصادر الأخرى الموثقة ، وهذا ماتجده بين يديك وماتوفيقنا إلا بالله :

إن الإنسان مخلوق كريم ، من سلالة آدم عليه السلام ، الذى خلقه الله رب العالمين الذى خلق الكون ، وخلق الملائكة والجن الذين يروننا ولا نراهم ، وأن الله الخالق قد خلق الخلق ومنهم الإنسان لغاية وهى العبادة ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (٢) ، وإن هنالك سننا تضبط حركة الكون والإنسان ، وتُنظِّم علاقة الإنسان بهذا الكون الذى ذلله وسخره الله له واستخلفه فيه .

سوف تجد أن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم ومستمر ، وأثناءه قد يظلم الإنسان ويستبد به القوى ، ولكن كل شيء مدون ﴿ **مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ (٣) ويأتى اليوم الذى يجازى كل إنسان بما عمل ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾(٤) .

سوف تدرك أن الموت حق ، وأنه لا بد من البعث ، والحساب والعقاب ، ثم إلى

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء تأليف د. جمال عبد الهادى وزوجته دكتورة وفاء محمد رفعت ، منهج كتابة التاريخ الإسلام لماذا ؟ وكيف ؟ لنفس المؤلفين ، دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة .

(٢) الذاريات : ٥٦ . (٣) ق : ١٨ (٤) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

جنة أم إلى نار « والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، وإنَّها لنار أبدا أو لجنة أبدا » سوف تجد الإجابة لكل مايعتمل فى نفسك إذا أقبلت على كتاب الله القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ .

« وقد قص الله على نبيه ﷺ خبر مامضى من المخلوقات ، وذكر الأمم الماضين ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا حل بأعدائه ، وبين ذلك رسول الله ﷺ لأمته بيانا شافيا ، فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك ، وترك ما لا فائدة فيه » .

« ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على مابأيديهم (المستشرقين ومن سار على نهجهم) مما وقع فيه خبط وخلط ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل » .

« فالمحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا ﷺ ، وشرحه وأوضحه ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله ، كما قال على بن أبى طالب « كتاب الله فيه خبر ماقبلكم ونبأ مابعدكم ، وحكم مابينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله » وقال أبو ذر رضى الله عنه « لقد توفى رسول الله ﷺ وماطائر يطير بجناحيه إلا أذكرنا منه علما » (١) .

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه « قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم » (٢) .

هل كان هنالك شيء قبل خالق هذا الكون ؟

« كان الله ولم يكن شيء قبله » :

« قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ : جئناك لنتفقه فى الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ، قال : كان الله ولم يكن شيء قبله » وفى رواية « معه » وفى رواية « غيره » (٣) . فالله ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ (١) .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٧ ، رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، صحيح أبى عبد الله البخارى جـ ٤ ، ص ١٢٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩ رواه البخارى ، بدء الخلق ، جـ ٤ ، ص ١٢٩ .

وأين كان رب العالمين قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ :

سئل رسول الله ﷺ : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : « كان فى عماء مافوقه هواء وماتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء » (٢) .

مضمونها فراغ

من هو الله ؟ :

عن أُبىّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبى ﷺ : ياحمد انسب لنا ربك . فأنزل الله تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ يعنى الواحد ، الأحد الذى لا نظير له ولا وزير ، ولا شبيه ولا عديل ؛ لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله ﴿ **الله الصمد** ﴾ يعنى الذى يصمد إليه الخلائق فى حوائجهم ومسائلهم ، ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** ﴾(٣) أى لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء .

« الله خالق كل شيء » :

« الله يقدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل** ﴾ (٤) فكل ماسواه تعالى فهو مخلوق له ، مربوب مَدَبَّر ، مكوّن بعد أن لم يكن ، مُحدَثٌ بعد عدمه ، فالعرش هو سقف المخلوقات إلى ماتحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وناطق ، الجميع خلقه ، ومِلْكه وعبيده ، وتحت قهره وقدرته ، وتحت تصريفه ومشيئته ﴿ **هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يعلم مايلج فى الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ماكنتم ، والله بما تعملون بصير** ﴾(٥) .

و « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ،

---

(١) الحديد : ٣ ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١١٣ ، فى ظلال القرآن ، المجلد ٦ / ٣٤٧٨ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١ صفحة ٨ ، رواه أحمد والترمذى وقال الترمذى:حسن .

(٣) سورة الإخلاص ، خرجه الإمام أحمد والترمذى وابن جرير .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧ ، الزمر : ٦٢ .

(٥) الحديد : ٤ .

وعرشه على الماء » [1] .

الله الخالق يستوى على العرش [2] :

قال تعالى : ﴿ **فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ [5] . والله سبحانه وتعالى ، فوق عرشه ، وعرشه فوق سمواته [6] . وعرش الرحمن فوق الفردوس ، والفردوس أعلى الجنة وأوسط الجنة [7] .

« والذى ثبت شرعا أن له قوائم تحمله الملائكة ، وأيضا فإنه فوق الجنة ، والجنة فوق السموات . وفيها مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض . والعرش كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات . قال تعالى : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا** ﴾ [8] .

وقال رسول الله ﷺ : « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن مابين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » [9] .

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٩ ، رواه مسلم .

(٢) الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ، بهذه الكلمات ، أغلق مالك رضى الله عنه الطريق أمام أصحاب البدع ، الذين يبحثون عن الكيف .

(٣) المؤمنون : ١١٦ .

(٤) الحاقة : ١٧ .

(٥) الزمر : ٧٥ .

(٦) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ١١ .

(٧) قال رسول الله ﷺ : « إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن » رواه البخارى .

(٨) غافر : ٧ ؛ المصدر السابق ، ١١ ، ١٢ .

(٩) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ١٣ ، رواه أبو داود .

obeikandl.com

الفصل الثانى

الله يخلق السموات السبع والأرضين السبع طائعين منقادين له سبحانه وتعالى

* الله يسخر البحار لبنى آدم .
* الله يجرى الفلك لبنى آدم .
* الله يجرى الماء العذب لبنى آدم .
* الله يهدى الإنسان بالنجوم ظلمات البر والبحر .

قال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما ﴾ (٢) .

الله سبحانه وتعالى يسخّر البحار لنبى آدم ليأكلوا منها لحما ويستخرجوا منها حلية ـــ والله يجرى الفلك عليها لنبى آدم ليبتغوا من فضل الله ويشكروا نعمه ـــ والله علمّ

---

(١) فصلت : ٩ ـــ ١٢ .
(٢) الطلاق : ١٢ . البداية والنهاية ، جـ ١ ص ١٨ ، ١٩ .

الإنسان كيف يهتدى بالنجوم فى ظلمات البر والبحر ـ كما أجرى له الماء العذب الفرات السائغ الشراب :

قال تعالى : ﴿ **وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم** ﴾ (١) . ﴿ **وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ﴾ (٢) .

« فامتن الله تعالى على عباده ، بما خلق لهم من البحار والأنهار . فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبت منه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مر ، وفى هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء ، إذ لو كان حلوا لأنتن الجو وفسد الهواء بسبب مايموت فيه من الحيوانات ، فكان يؤدى إلى تفانى بنى آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة ، ولهذا لما سئل رسول الله ـــ ﷺ ـــ عن البحر قال « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » . وأما الأنهار فمأؤها عذب فرات سائغ شرابها لمن أراد ذلك . ، وجعلها جارية سارحة ينبعها تعالى فى أرض ويسوقها إلى أخرى رزقا للعباد . ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة » (٣) .

« ومن نعمة الله على عباده أن كف شر البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم يحمل مراكبهم ليبلغوا عليها إلى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم بما خلقه فى السماء والأرض من النجوم والجبال التى جعلها لهم علامات يهتدون بها فى سيرهم ، وبما خلق لهم فيه من اللآلىء والجواهر النفيسة العزيزة الثمينة التى لا توجد إلا فيه ، وبماخلق فيه من الدواب الغريبة ، وأحلها لهم حتى ميتتها كما قال تعالى : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة** ﴾ (٤) وقال النبى ﷺ : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » (٥) .

---

(١) النحل : ١٤ ـــ ١٨ .
(٢) فاطر : ١٢ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ١ ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) المائدة : ٩٦ .
(٥) رواه الخمسة ، وقال الترمذى حسن صحيح . البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٢٣ .

تفاصيل خلق السموات وما فيها من آيات الله « لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » :

﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ (١) .

« وقال تعالى : **﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴾** (٢) وقال تعالى : **﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكورا ﴾** (٣) . والمقصود أنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنَّها فى غاية الحسن والجمال ، والإتقان ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى أحكم خلقها وزين بالكواكب أفقها ، وأنه صان حوزتها عن حلول الشياطين بها **﴿ إنَّا زيَّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد ﴾** (٤) كما أنه جعل النجوم ليهتدى بها فى ظلمات البر والبحر . **﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴾** (٥) » .

وذكر تعالى أنه خلق سبع سموات طباقا أى واحدة فوق واحدة متفاصلات بينهن خلاء ؛ لما ورد عن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون كم بين السماء والأرض ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « بينهما مسيرة خمسمائة عام . ومن كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة » (٦) وفى الصحيحين من حديث أنس فى الإسراء قال فيه : « ووجد فى السماء الدنيا آدم فقال جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه فرد السلام . وقال مرحبا وأهلا بابنى نعم الابن أنت » إلى أن قال : « ثم عرج بنا إلى السماء الثانية » .

---

(١) تبارك : ١ — ٥ . (٢) نوح : ١٥ — ١٦ . (٣) الفرقان : ٦١ — ٦٢ .
(٤) الصافات : ٦ — ٧ ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٣٠ .
(٥) الأنعام : ٩٧ . (٦) رواه أحمد وأبو داود ، وابن ماجه والترمذى وحسنه .

وكذا ذكر فى الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة . فدل على التفاصيل بينها لقوله : ثم عرج بنا حتى أتينا السماء الثانية ، فاستفتح ، فقيل من هذا ، (الحديث) [1] .

الله خلق الأنهار التى ورد ذكرها فى أحاديث محمد ﷺ :

قال تعالى : ﴿ **الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ماسألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ [2] .

ولما ذكر رسول الله ـــ ﷺ ـــ سدرة المنتهى قال : « فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فأما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات » [3] .

وفى الحديث أيضا : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة » [4] .

« وكأن المراد والله أعلم من هذا أن هذه الأنهار ، تشبه أنهار الجنة ، فى صفائها ، وعذوبتها ، وجريانها » [5] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٣١ . (٢) إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤ .

(٣) وفى لفظ فى البخارى : وعنصرهما أى مادتهما أو شكلهما وعلى صفتهما ونعتهما ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٢٦ ؛ ويضيف الإمام الحافظ ابن كثير : « ومن جنس تلك فى هذه الصفات ونحوها كما قال ﷺ فى الحديث الآخر « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » ، أى تشبه ثمر الجنة ، لا أنها محتناه من الجنة ، فإن الحس يشهد بخلاف ذلك . فتعين أن المراد غيره وكذا قوله ﷺ « الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء » .. وهكذا هذه الأنهار ، وأصل منبعها مشاهد فى الأرض .

الفصل الثالث

الله خالق كل شيء

المبحث الأول

منْ خلق الله فى الكون : الملائكة

الله خلق الملائكة بصفات معينة وحدد لهم مهمات معينة :

قال الله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم** ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ **وإنَّ عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ماتفعلون** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ (٤) . وقال تعالى : ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير** ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون** ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ (٧) والآيات فى ذكر الملائكة كثيرة جدا ، يصفهم تعالى بالقوة فى العبادة ، وفى الخلق وحسن المنظر ، وعظمة الأشكال وقوة الشكل فى الصور المتعددة ،

---

(١) الأنبياء : ٢٦ ــ ٢٨ .
(٢) الشورى : ٥ .
(٣) الانفطار : ١٠ ــ ١٢ .
(٤) الرعد : ٢٣ ــ ٢٤ .
(٥) فاطر : ١
(٦) التحريم : ٦ ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٠ ، ٤١ .
(٧) البقرة : ٩٨ .

كما قال تعالى ﴿ **ولمَّا جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق به ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾ (١) أى أن الملائكة بدت لهم فى صورة شباب حسان ؛ امتحانا واختباراً ، حتى قامت على قوم لوط الحجة ، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

« وكذلك كان جبريل يأتى إلى النبى ﷺ فى صفات متعددة ، فتارة يأتى فى صورة دحية بن خليفة الكلبى ، وتارة فى صورة أعرابى (رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) وتارة فى الصورة التى خلق عليها . له ستمائة جناح ، مابين كل جناحين ، كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين . مرة منهبطا من السماء إلى الأرض ، وتارة : ﴿ **عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى** ﴾(٢) وهو قوله تعالى : ﴿ **علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى** ﴾ (٣) أى جبريل كما ذكره ابن كثير عن غير واحد من الصحابة .

وذكر ابن كثير : أن سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، وفى رواية فى السادسة ، أى أصلها وفروعها فى السابعة ، فلما غشيها من أمر الله ماغشيها ، قيل : غشيها نور الرب جل جلاله ، وقيل غشيها فراش من ذهب ، وقيل : غشيها الملائكة مثل الغربان . وقيل : غشيها من نور الله تعالى فلا يستطيع أحد أن ينعتها . وذكر ابن كثير أن رسول الله — ﷺ — قال : « ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كالقلال . وفى رواية كقلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا يخرج من أصلها نهران ..... » (٤) إلخ .

« وفيه : ثم رفع إلىّ البيت المعمور وإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ماعليهم . وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مُستندا ظهرُه إلى البيت المعمور » . واسم البيت فى السماء بيت العزة . واسم الملك الذى هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل . فعلى هذا يكون السبعون ألف من الملائكة الذين يدخلون فى كل يوم إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه . آخر ماعليهم (أى لا يحصل لهم نوبة إلى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها . ولهذا قال تعالى : ﴿ **ومايعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ وقال رسول الله — ﷺ — : « إنّى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون

---

(١) هود : ٧٧ — ٧٨ .
(٢) النجم : ١٤ — ١٥ .
(٣) النجم : ٥ — ٨ .
(٤) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤١ .

أطّت السماء وحق لها أن تئطّ ، مافيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم مما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل » (١) .

« ودل هذا الحديث وغيره على أنه ما من موضع فى السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم فى صنوف من العبادة . منهم من هو قائم أبدا ، ومنهم من هو راكع أبدا ، ومنهم من هو ساجد أبدا ، ومنهم من هو فى صنوف أخر والله أعلم بها . وهم دائمون فى عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التى أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم . وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون** ﴾(٢) . وقال ﷺ : « ألا تصفّون كما تصف الملائكة عند ربها » . قالوا : وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال : « يكملون الصف الأول ويتراصون فى الصف » . وقال : فضلنا على الناس بثلاث . جعلت لنا الأرض مسجدا وتربتها لنا طهورا وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة . وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدى الله عز وجل صفوفا ، كما قال تعالى : ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾ (٣) .

« وقد ورد فى صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى : ﴿ **علمه شديد القوى** ﴾ (٤) قالوا : كان من شدة قوته أن رفع مدائن لوط وكن سبعا بمن فيها من الأمم وكانوا قريبا من أربعمائة ألف ، ومامعهم من الدواب والحيوانات ، ولتلك المدن من الأراضى والمعتملات والعمارات ، وغير ذلك . رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء ، حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ، وصياح ديكتهم ، ثم قلبها ، فجعل عاليها سافلها ، فهذا هو شديد القوى » .

« وقوله ﴿ **ذو مرة** ﴾ (٥) أى خلق حسن ، وبهاء وسناء كما قال فى الآية الأخرى ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ (٦) أى جبريل رسول من الله كريم ، أى حسن المنظر ، ذو قوة أى له قوة وبأس شديد ، ﴿ **عند ذى العرش مكين** ﴾ (٧) أى له مكانة ومنزلة عالية

---

(١) رواه أحمد ، وقال الترمذى : حسن غريب .
(٢) الصافات : ١٦٤ — ١٦٦ .
(٣) الفجر : ٢٢ ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٣ . البخارى .
(٤) النجم : ٥ .
(٥) النجم : ٦ .
(٦) التكوير : ١٩ .
(٧) التكوير : ٢٠ .

رفيعة عند الله ، ذى العرش المجيد ﴿ **مطاع** ﴾[1] أى مطاع فى الملأ الأعلى ﴿ **أمين** ﴾[2] ، أى ذى أمانة عظيمة ؛ ولهذا كان هو السفير بين الله وأنبيائه عليهم السلام ، الذى ينزل عليهم بالوحى ، فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة وقد كان يأتى إلى رسول الله ﷺ ينزل عليه فى صفات متعددة وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين . له ستمائة جناح كما روى البخارى » .

« وقد رأى رسول الله ـ ﷺ ـ جبريل وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل[3] من الدر والياقوت ما الله به عليم . وقال رسول الله ـ ﷺ : « أتانى جبريل فى خَضْرٍ تعلق به الدر »[4] .

وقد قال رسول الله ﷺ لجبريل : « ألا تزورنا أكثر مما تزورنا » قال : فنزلت : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا** ﴾[5] وكان رسول الله ـ ﷺ ـ أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[6] . وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « نزل جبريل فأمَّنى ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات »[7] .

« ومن صفة إسرافيل : وهو أحد حملة العرش ، وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة . أولاهن نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة البعث . والصور قرن ينفخ فيه . كل دارة منه كما بين السماء والأرض . وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جل جلاله : « وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى البدن التى كانت تعمره فى الدنيا فتدخل على الأجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ فتحيى الأجساد وتنشق عنهم الأجداث فيخرجون عنها سراعا إلى مقام المحشر . ولهذا قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » . قالوا : كيف نقول يارسول الله ؟

---

(١) التكوير : ٢٠ .
(٢) التكوير : ٢١ .
(٣) الأشياء المختلفة الألوان .
(٤) رواه أحمد البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٤ .
(٥) مريم : ٦٤ البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٥ ، رواه البخارى .
(٦) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٥ ، البخارى .
(٧) المرجع السابق ، ص ٤٥ ، البخارى .

قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » [1] ذكر رسول الله ـــ ﷺ ـــ صاحب الصور فقال : « عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليه السلام » .

« وأما ميكائيل فهو موكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة المقربين . وقد قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ لجبريل : « ما لى لم أر ميكائيل ضاحكا قط ؟ فقال : ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار » [2] .

« فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم فى القرآن وفى الصحاح هم المذكورون فى الدعاء النبوى : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل » فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم . وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار . وله أعوان يعقلون مايأمرهم به بأمر ربه . يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله . وما من قطرة تنزل من السماء إلّا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض » .

« وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور للقيام من القبور . والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور . ويجازى الكفور . فذاك ذنبه مغفور وسعيه مشكور ، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور » [3] .

« وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحاح . وقد قال الله تعالى : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ [4] وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها فى أكفان تليق بها ثم يصعدون بها فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقى بها إلى الأرض [5] قال الله تعالى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ [6] .

« ومن الملائكة المنصوص عليها فى القرآن هاروت وماروت » .

«ومن الملائكة المسمّين فى الحديث ، منكر ونكير عليهما السلام . وهما فتّانا القبر ،

---

(١) البداية والنهاية جـ ١ ، ص ٤٥ ، رواه أحمد والترمذى .
(٢) رواه أحمد .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٦ .
(٤) السجدة : ١١ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٦) الأنعام : ٦١ ـــ ٦٢ .

موكلان بسؤال الميت فى قبره ، عن ربه ودينه ونبيه ، ويمتحنان البر والفاجر ، وهما أزرقان أفرقان ، لهما أنياب وأشكال مزعجة ، وأصوات مفزعة ، أجارنا الله من عذاب القبر ، وثبتنا بالقول الثابت آمين » .

« وثبت أن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ . قال : « لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ماأردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل ، فنادانى ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال ؛ لتأمره بما شئت فيهم . فنادانى ملك الجبال ، فسلم على ، ثم قال : يامحمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال النبى — ﷺ — : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا » [1] .

الملائكة مهيأون للقيام بواجبات معينة :

فمنهم حملة العرش ، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش . وهم الملائكة المقربون . ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقد ذكر الله تعالى عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب .

ولمَّا كانت سجاياهم هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت فى الحديث عن الصادق المصدوق أنَّه قال : « إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ولك بمثل » [2] .

« ومنهم سكان السموات السبع يعمرونها ، عبادة دائبة ليلا ونهارا ، وصباحا ومساء كما قال : ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ [3] فمنهم الراكع دائما ، والقائم دائما ، والساجد دائما ، ومنهم الذين يتعاقبون ، زمرة بعد زمرة إلى البيت المعمور . ومنهم الموكلون بالجنان ، وإعداد الكرامة لأهلها ، وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ

---

(١) رواه مسلمٌ ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٩ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٤٩ .
(٣) الأنبياء : ٢٠ .

ومآكل ومشارب ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

« وخازن الجنة يقال له رضوان . ومنهم الموكلون بالنار ، وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر ، وخازنها مالك ، وهو مقدم على جميع الخزنة . وقال تعالى : ﴿ **ونادوا يامالك ليقض علينا ربك ، قال إنكم ماكثون . لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون** ﴾ » (١) .

« ومنهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ » (٢) .

« ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾(٣) ﴿ **وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ماتفعلون** ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب » (٤) .

« والملائكة يتعاقبون ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم ، فيقول : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون » (٥) .

« والمقصود أن كل إنسان له حافظان ملكان اثنان ، واحد من بين يديه وآخر من خلفه ، يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل . وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال » .

« وقال محمد ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا وإياك يارسول الله ؟ قال : « وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلّا بخير » (٦) . وإذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون

---

(١) الزخرف : ٧٧ ــ ٧٨ .
(٢) الرعد : ١١ .
(٣) ق : ١٧ ــ ١٨ ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٥٠ .
(٤) فى الصحاح والسنن .
(٥) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٥١٢ ، رواه مسلم .
(٦) رواه مسلم ، نفس المرجع ، ص ٥٢ .

الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يسمعون الذكر [1] . ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر . يقول الصحابى أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾ [2] .

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « إذا أمَّن الإمام فأمِّنُوا فإنَّ مَنْ وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » . وقال رسول الله ــ ﷺ ــ : « إنّ لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتّاب الناس فإذا وجدوا أقواما يذكرون الله تنادوا هَلُمُّوا إلى بُغيتكم » [3] .

وقال رسول الله ــ ﷺ ــ : « ما اجتمع قوم يذكرون الله ، إلَّا حَفَّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [4] ، « وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ؛ رضا بما يصنع » [5] . وقال ﷺ : « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض ليبلغونى عن أمتى السلام » [6] . وقال ﷺ : « خُلِقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار ، وآدم مما وصف لكم » [7] .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٥٢ . الإسراء : ٧٨ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٥٣ .
(٤) رواه أحمد ومسلم والترمذى .
(٥) المصدر السابق ، ص ٥٤ ؛ مسند أحمد وصحيح مسلم .
(٦) مسند الإمام أحمد عن أبى الدرداء مرفوعاً .
(٧) مسند الإمام أحمد .

المبحث الثانى

الله سبحانه وتعالى خلق الجان
ــ الصالحون ودون ذلك ــ من مارج من نار

يقول الله تعالى : ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **والجّان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ (٢) .

« والمقصود أن الجان خلقوا من النار ، وهم كبنى آدم ، يأكلون ، ويشربون ، ويتناسلون ، ومنهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون ، كما أخبر تعالى عنهم فى سورة الأحقاف فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين** ﴾ (٣) ﴿ **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا مااتخذ صاحبة ولا ولدا . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا** ﴾ (٤) . إلخ الآية . هؤلاء النفر ، كانوا من الجن مرّوا بالنبى ــ ﷺ ــ فوقفوا ، فاستمعوا ، لقراءته . ثم اجتمع بهم النبى ــ ﷺ ــ ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ، ونهاهم عنها ، وسألوه الزاد فقال لهم « كل عظم ذُكِرَ اسمُ الله عليه تجدونه أوفر مايكون لحما وكل روثة علف لدوابكم » . ونهى النبى ــ ﷺ ــ أن يستنجى بهما وقال : « إنهما زاد إخوانكم الجن » . ونهى عن البول فى السرب ؛ لأنها مساكن الجن . وقد قرأ عليهم رسول الله ــ ﷺ ــ سورة الرحمن ، فما جعل يمر فيها بآية ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ، إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد » .

ووصى أحد الصحابة ابنه بما سمعه من رسول الله ﷺ : « إنى أراك تحب الغنم

---

(١) الرحمن : ١٥ .
(٢) الحجر : ٢٧ .
(٣) الأحقاف : ٢٩ .
(٤) الجن : ١ ــ ٥ .

والبادية ، فإذا كنت فى غنمك وباديتك ، فأذنت بالصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ؛ فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء ، إلا شهد له يوم القيامة » (١) .

وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ، ومقدمهم الأكبر إبليس ، عدو آدم أبى البشر وقد سلطه وذريته على آدم وذريته . وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم . كما قال تعالى : ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **ولقد صدق عليهم إبْليس ظنه فاتبعوه إلّا فريقا من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان إلّا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شيء حفيظ** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** ﴾ (٤) .

« والمقصود أن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى : ﴿ **وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شيء حفيظ** ﴾ (٥) .

« فإبليس لعنه الله حى الآن ، مُنْظَرٌ إلى يوم الوقت المعلوم بنص القرآن . وله عرش على وجه البحر ، وهو جالس عليه ، ويبعث سراياه ، يلقون بين الناس الشر والفتن . والدليل ما رواه رسول الله ـ ﷺ ـ : « عرش إبليس فى البحر ، يبعث سراياه كل يوم ، يفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة ، أعظمهم فتنة للناس » (٦) .

« يجيء أحدهم فيقول : مازلت بفلان ، حتى تركته وهو يقول : كذا وكذا . فيقول إبليس : لا والله ماصنعت شيئا . ويجيء أحدهم فيقول : ماتركته ، حتى فرقت بينه وبين أهله . قال : فيقربه ويدنيه ويقول : نعم أنت » (٧) .

« والسحر المتلقى عن شياطين الإنس والجن ويتوصل به إلى التفرقة بين المتآلفين غاية التآلف ، المتوادين والمتحابين ؛ ولهذا يشكر إبليس سعى من كان السبب فى ذلك .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٥٧ ، رواه البخارى .
(٢) الحجر : ٤٢ .
(٣) سبأ : ٢٠ ـ ٢١ .
(٤) الأعراف : ٢٧ .
(٥) سبأ : ٢١ .
(٦) مسند الإمام أحمد .
(٧) صحيح مسلم .

فالذى ذمه الله يمدحه والذى يغضب الله يرضيه لعنه الله » [1] .

وقد أنزل الله سورتى المعوذتين ، مطردة لأنواع الشر ، وأسبابه ، وغاياته وقال الرسول ﷺ : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » [2] .

وحذر محمد ـــ ﷺ ـــ الأمة من الشيطان : « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسى التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس » [3] .

وقال : « إن أحدكم إذا كان فى المسجد ، جاء الشيطان ، فأيس به كما يئس بدابته ، فإذا سكن له زنقه أو ألجمه » وقال أبو هريرة : وأنْتُمْ ترونه ذلك ، أمَّا المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر إلَّا الله . وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل » [4] .

وقال رسول الله ﷺ : « العين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » [5] .
وقال : « يأتى الشيطان أحدكم ، فيقول : من خلق كذا ، من خلق كذا ، حتى يقول : من خلق ربك ، فإذا بلغه فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ » [6] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٥٩ .
(٢) رواه البخارى ومسلم ، المصدر السابق ، ص ٥٩ . (٣) رواه الحافظ أبو يعلى ، البداية والنهاية . جـ ١ ، ص ٦٠ .
(٤) رواه أحمد ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٦٠ . (٥) رواه أحمد .
(٦) رواه مسلم .

المبحث الثالث

الله سبحانه وتعالى يعلم رسوله محمدا ﷺ والمسلمين كيفية اتقاء كيد الشيطان

قال تعالى : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ (٣) .

وكان محمد ﷺ يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » . كما أوصى رسول الله ﷺ :

* من يدخل الخلاء أن يقول : « أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وأوصى من أتى الغائط فليستتر فإن لم يجد إلَّا أن يجمع كثيبا فليستدبره فإن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم (٤) . كما أوصى ﷺ من يغضب أن يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . كما أوصى أن لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (٥) .

* « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا . وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال : أدركتم المبيت . وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء » .

* « إذ طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرنى

---

(١) الأعراف : ٢٠٠ .
(٢) المؤمنون : ٩٧ ـ ٩٨ .
(٣) النحل : ٩٨ .
(٤) مسند أحمد .
(٥) مسند أحمد .

الشيطان »[1] .

* « إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخَمِّر إناءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئا »[2] .

* « ولو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنى فإن كان فيها ولد لم يقربه الشيطان ولم يسلط عليه »[3] .

* « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد . يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة . فإن توضأ انحلت عقدة . فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »[4] .

* « إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ ، فليستنثر ثلاثا ، فإن الشيطان يبيت على خيشومه »[5] .

* « إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فإذا قضى أقبل فإذا ثوب بها أدبر . فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه . فيقول : اذكر كذا وكذا حتى لا يدرى أثلاثا صلى أم أربعا فإذا لم يدر أثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتى السهو »[6] .

* « راصوا الصفوف فإن الشيطان يقوم فى الخلل »[7] .

* « إذا مر بين يدى أحدكم شىء فليمنعه ، فإن أبى فليمنعه ، فإن أبى فليقاتله فإنّما هو الشيطان »[8] .

* « فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »[9] .

« وذلك يعنى أن الشيطان لا يألو الإنسان خبالا جهده وطاقته فى جميع أحواله وحركاته وسكناته »[10] .

---

(١) مسند أحمد .
(٢) مسند أحمد .
(٣) البخارى .
(٤) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٦٣ .
(٥) صحيح مسلم ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٦٣ .
(٦) البخارى ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .
(٧) مسند الإمام أحمد .
(٨) البخارى .
(٩) فقرة من حديث رواه أبو سعيد الخدرى .
(١٠) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

* وقال رسول الله ﷺ : « إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة . فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان ... » (١) .

* « والشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة . والشيطان لا يقرب إنسانا قرأ آية الكرسى ليلته حتى يصبح » .

* « ومن قال : لا إله إلا الله وحد لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى » (٢) .

* « إذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل » .

* « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلما يخافه ، فليبصق عن يساره ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنَّها لا تضره » (٣) .

* « لا يشمرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » (٤) .

* « قال : الملائكة تحدث فى العنان (الغمام) بالأمر يكون فى الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها فى أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كلمة » (٥) .

* « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ قال : فعصاه وأسلم قال : وقعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ؟ وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، وهو جهد النفس والمال ، فقال : أتقاتل ، فتقتل ، وتنكح المرأة ، ويقسم المال ؟ قال : فعصاه وجاهد . قال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك منهم ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن كان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة » (٦) .

---

(١) الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .
(٤) مسند الإمام أحمد .
(٥) البخارى .
(٦) مسند أحمد .

المبحث الرابع

أهمية المعلومات الواردة فى الباب الأول

أنباء ما قد سبق

إن هذه الأنباء التى قدمناها هى ضرورية لبنى الإنسان على وجه العموم وبمسسم على وجه الخصوص للتصدى والرد على الهجمة الشيطانية الشرسة التى شوهت وزيفت كل مايتعلق بخالق هذا الكون وهو الله رب العالمين ، وزيفت كل مايتعلق أيضا بتاريخ الكون ومافيه من مخلوقات ، بما فى ذلك تاريخ الإنسان . وهى ضرورية أيضا ؛ لأنها تؤكد أنه ليس للبشرية مصدر موثق عن أخبار القرون السابقة ، إلّا من كتاب الله الكريم ، وما أخبر به المعصوم محمد ﷺ ، فمن الأنباء التى قص الله سبحانه وتعالى جانبا منها على سيدنا محمد ﷺ ، أنباء عن تاريخ الكون وتاريخ البشرية منذ بدء الخلق ودورها على سطح الأرض إلى أن ينزل أهلُ الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم .

من خلال هذا العرض يدرك الدارس للتاريخ أن الله سبحانه وتعالى ، هو الأوّل ، فليس قبله شيء ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، ويعرف أيضا الإجابة على تساؤلات ، عجزت البشرية عن طرحها ، أو الإجابة عليها إجابات صحيحة حينما نحّت كتاب الله الكريم وسنة النبى وراء ظهرها .

ومن خلال الكتاب والسنّة يدرك القارىء ، والدارس لتاريخ الكون والبشرية ، ويدرك الذى يؤدى دورا فى تاريخ البشرية ، أن لهذا الكون إلهاً خالقا مدبرا حكيما خبيرا ، خلق كل شيء ، وقدّر مقادير الخلائق قبل زمن طويل لا يعلمه إلا الله . ومعنى ذلك أن الإنسان مخلوق ، وكل شيء فى الكون مخلوق مربوب ، يسير فى فلك ليس من صنعه ، ولا من وضعه ، إنما هو من صنع ووضع الله الحكيم الخبير .

إن استشعار المؤرخ أو قارىء التاريخ ، أو الذى يلعب دورا فى تاريخ البشرية ،

سواء أكان حاكما أم محكوما فردا أم أمة أنه عبد لخالق هذا الكون بما فيه ، وأنه مستخلف لأداء دور معين ، نذره له الله سبحانه وتعالى ، وهو العبادة بمعناها الشامل الكامل ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾[1] ، وأنه محكوم بنظام ربانى يجعله موضع الاختبار على هذه الأرض ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾[2] ، إن استشعاره ذلك ، قد يمنعه من الانحراف ، قد يمنعه من الظلم ، قد يمنعه من القتل ، قد يمنعه من ارتكاب الفواحش ، قد يدفعه إلى الصدع بكلمة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إن كان من المهتدين .

وعدم استشعار الفرد للأمانة التى وضعها الله فى عنقه ، ومروقه عن حَمْلها ، قد تدفعه إلى ارتكاب جرائم لا حد لها فى حق الأفراد أو فى حق الأمم وهذا ما سنتعرض له عند معالجة تاريخ الأمم والأفراد ، إن شاء الله .

إن قراءة الإنسان للخبر الوارد فى القرآن الكريم والحديث عن العرش وقد حملته الملائكة وحف به آخرون يسبحون بحمد ربهم شىء يدير الرؤوس ، ويؤكد للإنسان أنه وكلّ ما فى هذا الكون ، مقهور للقوة القادرة ، قوة الرحمن العظيم ، إن إدراك المؤرخ المسلم لهذه الحقيقة الكونية الضخمة ، خلق السماوات وخلق الأرضين السبع ، وتقدير الأوقات فيها ، وأن الله على كل شىء قدير وأنه بكل شىء عليم ، كفيل بأن يوجهه إلى قول كلمة الحق مهما كانت مرّة ومهما ترتب عليها ؛ لأنه لا يملك أن يكتمها ــ وخاصة ذلك الذى يكتب التاريخ الحديث ــ ؛ لأنه يدرك جيدا أن رزقه ليس بيد أحد ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾[3]. إن ذلك الإدراك كفيل بتوجيه المؤرخ المسلم ، أن لا يتردد فى النصح للأمة وأن يوجهها إلى الخير ، وينبهها إلى ماتتعرض له من دسائس ومؤامرات .. إن إحجام المؤرخ المسلم عن واجب الدعوة إلى الله وواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد إدراك هذه الحقائق الكونية الكبرى التى تدل على أن لهذا الكون خالقا مهيمنا ومسيطرا بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ، تعنى أن المؤرخ قد جعل لله أندادا رغم علمه بأنه رب العالمين .

إن استشعار بنى الإنسان أنه مخلوق متميز ، خلق الله سبحانه وتعالى الكون بما فيه ، واستخلفه فيه ، فأجرى الله له البحار ، منها العذب ، ومنها الملح الأجاج ، ومنها

---

(١) الأنعام : ١٦٢ ــ ١٦٣ .　　(٢) تبارك : ٢ .　　(٣) الذاريات : ٢٢ ــ ٢٣ .

يستخرج الأسماك ليأكلها ، ويستخرج الحلية للباسه ، وعليها وعلى الفلك يحمل من أقصى الدنيا إلى أولها ، وحتى لا يضل الطريق علمه الله كيف يهتدى بالنجوم ، كل ذلك كفيل بِحَمْلِه على التفكير عن السبب الذى من أجله سخّر الله له كل شيء ، وإذا ما فكر بحيدة تامة أدرك أنه لم يخلق عبثاً ، ولكن لينظر الله سبحانه وتعالى ، هل يشكر الإنسان أم يكفر ويدرك أيضا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى سخّر كل ما فى هذا الكون للإنسان ، وليس كما يزعم أصحاب المذهب المادى للتاريخ بأن الإنسان هو الذى قهر الطبيعة وأخضعها لسلطانه .

إن استشعار الإنسان ، الذى يلعب دورا فى تاريخ البشرية لقدرة الله التى لا تحدها حدود مُهِمٌّ ، هذه القدرة يمكن أن يستشعرها وهو يقرأ عن خلق السموات وما فيها من المخلوقات الأخرى . والشيء الذى يدير الرؤوس ويقهر نفس الإنسان فيقر لله بالألوهية والربوبية ، آدم عليه السلام الذى قضى ومات منذ زمن بعيد ، وقابله سيدنا محمد ﷺ ، فى السماء الدنيا فسلم عليه ، فقال له : « مرحبا وأهلا بابنى نِعْمَ الابن أنت » . ماذا يعنى ذلك ؟ إنه يعنى أن الموت لا يعنى الفناء والدمار ، إنما هو مرحلة تؤدى إلى غيرها من حيث الثواب والعقاب ، إن استشعار الإنسان لهذه الحقيقة بصدق وإخلاص ، كفيل بِقَهْرِه على الاستسلام لنظام الله وشرعه .

وإذا استمر الإنسان فى التعرف على تاريخ المخلوقات ، يجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق خلقا آخر من نور ، وهم العباد المكرمون ، ومنهم الحافِّين من حول عرش الرحمن ، يسبحون بحمد ربهم ، ومنهم الحفظة على الإنسان ، ومنهم الملائكة الغلاظ الشداد ، اللذين لا يعصون الله ماأمرهم ، ويفعلون مايؤمرون ، ومنهم جبريل ، عليه السلام ، الموكل بحمل رسالة الله ، سبحانه وتعالى ، إلى الرسل ، ومنهم ميكائيل ، إلى غير ذلك من الملائكة عليهم السلام ، وكل منهم له عمل معين محدد ، فمنهم الراكع ومنهم القائم ومنهم الساجد ، وكلهم يسبحون بحمد ربهم .

استشعار الإنسان المسلم لهذا الأمر يجعله يدرك أن الكون ليس مخلوقا عبثا ، والإنسان ليس متروكا بلا ضابط أو حساب ولكن كل شيء مخلوق بقدر ، وأنه مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، وأنه ليس وحده فى هذا الكون ، وإن كل شيء محصى عليه ﴿ **كفى**

بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [1] إذن لماذا يتمرد على شرع الله ؟ لماذا يتكبر على عبادة الله ؟ لماذا يمرق من الإسلام ؟ لماذا يقتل ؟ لماذا يدمر ؟ لماذا يستعلى فى الأرض بغير الحق ؟ السبب لأنه سلك طريق الضلال ، وتنكب طريق الهداية ، رغم علمه بأن كل شيء محصى عليه ، وأن هناك من يراقبه ويدون حركاته وسكناته .

إن بنى الإنسان إذا قرأوا عن السماء التى حق لها أن تئط ، لأنه ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لله الواحد القهار .

إن الإنسان إذا قرأ عن خلق جبريل ، عليه السلام ، الذى رفع مدائن قوم لوط بما فيها على طرف جناحه ، حتى بلغ بها عنان السماء ، ثم قلبها ، فجعل عاليها سافلها

إن الإنسان إذا قرأ عن إسرافيل عليه السلام وهو ينفخ فى الصور ، فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا ماشاء الله .

إن الإنسان إذا قرأ عن نزول الأرواح إلى الأجساد فى القبور ، فتدب فيها الحياة كما يدب السمّ فى اللديغ فتحيا الأجساد بإذن الله ، وتنشق عنهم الأجداث فيخرجون منها سراعا إلى مقام المحشر .

إن الإنسان إذا قرأ عن الموت وملك الموت ، وأعوانه الذين يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم .

إن الإنسان إذا قرأ عن فتنة القبر ، عن منكر ونكير ، عن عذاب القبر ، إن الإنسان إذا قرأ هذا بفكر مفتوح ـــ فى تصورنا ـــ لا يسعه إلا التسليم بأنه عبد لإله واحد قهار . لا أقول كل إنسان إنما على الأقل جزء ليس بالصغير سيعقل ذلك ، لماذا ؟ لأن فريقا كبيرا من بنى الإنسان مضلل ، يدرسون له تاريخ الإنسان مجرداً من أية إشارة إلى الخالق المعظم ، مجرداً من أية علاقة بالكون وماهو مخلوق فيه كأنه هو صاحب الأمر والنهى ، كأنه مطلق اليد فى الكون وفى مخلوقات الله ، يعبث ، يقتل ، يدمر ، يضيع الأمانات .. لا يدرى أنه أحد المخلوقات فى هذا الكون ، وأنه مستخلف بشروط ، وأنه مأخوذ عليه العهد بعبادة الله الواحد القهار مع الالتزام بنظامه وشرعه .

وإذا ما قرأ الإنسان قصة خلق الجان ، وقصة مروق إبليس عن طاعة الله ،

---

(١) الإسراء : ١٤ .

وتسليطه على بنى الإنسان ، يدرك أنه محارب من جانب عدو لعين ، يرى الإنسان هو وقبيله من حيث لا يراهم . وأن هنالك صراعا بين حزب الله وحزب الشيطان ، ولذلك فإن الله قد سلح الإنسان بسلاح الدعاء الذى لا غنى عنه إذا أراد الإنسان الانتصار على عدوه من شياطين الجن والإنس ، إذا ما أردك الإنسان ذلك التاريخ ، من المؤكد إن لم يستجب لداعى الله فإن الحجة تكون قد لزمته ، ونكون قد أعذرنا إلى الله وأدينا واجب البلاغ ، وأقام الله بنا الحجة على بنى البشر ﴿ **بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾[1] .

(١) المائدة : ٦٧ .